**المحاضرة الثالثة لمادة العراق المعاصر (المرحلة الثانية)**

**للعام الدراسي 2023-2024**

# الإحتلال البريطاني للعراق

اكتسب العراق أَهمية كبرى في السياسة البريطانية، منذ بداية النشاط البريطاني في الخليج العربي، في الربع الأَول من القرن السابع عشر، وقد تنوعت المصالح البريطانية في العراق، فهناك المصالح الاقتصادية التي تركزت على شراء المواد الأَولية الرخيصة من جلود وصوف وعرق سوس وخيول، وعملت بريطانيا على ربط الاقتصاد العراقي بالرأسمال الأَجنبي، وللتدليل على نمو المصالح الاقتصادية البريطانية في العراق، نذكر تأسيس عدد من الشركات البريطانية أَمثال شركة لنج وشركة كري مكنزي وشركة اندروير، وغيرها من الشركات البريطانية، التي لم يقتصر عملها على النشاط التجاري الصرف، بل كان وجودها يمثل تغلغلاً "استعماريا" كانت له أَبعاده السياسية والاجتماعية والاقتصادية، حيث تمكن رجالات هذه الشركات من الاتصال ببعض الشيوخ، والملاكين بالإضافة إلى التجار والجماعات الأُخرى المستفيدة، وراحوا عن طريق هؤلاء يهيئون الأَفكار لتقبل وجودهم.

أَما أَهمية العراق الاستراتيجية بالنسبة للسياسة البريطانية فتتمثل في موقع العراق على الخليج العربي الذي هو جزء من طريق الهند البري الحيوي لمواصلات الإمبراطورية البريطانية، وقد أَكدت هذه الأَهمية بعثة "جسني" الاستطلاعية في عام 1834م لدراسة امكانيات نهر الفرات الملاحية، وما أَعقب ذلك من مجهودات بريطانية تناولت حقولاً متعددة كإرسال بعثات التنقيب الأَثرية وإنشاء خطوط التلغراف، وتأسيس الشركات الملاحية.

وفي مطلع القرن العشرين بلغت أَهمية العراق الاستراتيجية درجة كبرى، نتيجة لاكتشاف النفط في عبادان، وكانت حماية حقول نفط عبادان، من جملة الأَسباب التي تذرعت بها بريطانيا عند احتلال البصرة.

وقد دفع تزايد المصالح البريطانية في العراق الساسة البريطانيين إلى اعتبار وادي الرافدين مجالاً حيويا للنشاط السياسي والاقتصادي البريطاني، وأَوضح "اللورد كيرزن" هذه الأَهمية مرة أُخرى في عام 1911م حينما قال:

"من الخطأ أَن نفترض أَن مصالحنا السياسية تنحصر في الخليج، فإنها ليست كذلك كما أَنها ليست منحصرة بالمنطقة الواقعة ما بين البصرة وبغداد، وإنما تمتد شمالاً إلى بغداد نفسها".

**المحاضرة الثالثة لمادة العراق المعاصر (المرحلة الثانية)**

**للعام الدراسي 2023-2024**

وتأكيداً لهذه الأهمية بدأت الجهات العسكرية البريطانية بوضع الخطط العسكرية لاحتلال جنوب العراق قبل اندلاع الحرب العالمية الأُولى، فقد شكلت حكومة الهند لجنة رباعية عام 1911م لتقوم بدراسة الإجراءات التي يجب أن تتخذها لحماية مصالحها في جهات العراق الجنوبية، وقد أوصت اللجنة في تقريرها (12 كانون الثاني 1912م) باحتلال الفاو والبصرة.

وعلى الرغم من عدم الأخذ بمقترحات اللجنة في حينها لأنها سابقة لأوانها إلا أن القناصل الإنجليز في بغداد والبصرة والموصل أخذوا بإعداد المعلومات اللازمة عن الجيش العثماني: أعداده وتجهيزه وقدرته على التحرك، فضلاً عن القيام بإحضار الخرائط اللازمة للأعمال العسكري.

وعند اندلاع الحرب العالمية الأُولى في آب 1914م، وتعاطف الدولة العثمانية مع ألمانيا، بدأت بريطانيا تهيء قواتها العسكرية للحفاظ على تواجدها في الخليج العربي، ودعا الفريق الأول سير (ادمون بلرو) السكرتير العسكري لوزارة الهند إلى توجيه قوة عسكرية إلى المحمرة وعبادان، وعلل هذا الاقتراح بقوله:

"حيث مراكز النفط والتجهيزات، في عبادان وخط الأنابيب من حقول النفط معرضة للتدمير المباشر، وإن المصالح البريطانية في بغداد والبصرة ستزول من الوجود، وإن شيخي المحمرة والكويت، ربما يهاجمان، وفي هذه الحالة سنبدد في الهواء كل مكانتنا وجهودنا لسنين وسيغدوا موقفنا في الخليج نفسه مقلقاً".

دفع هذا التقدير الحكومة البريطانية إلى إرسال قوات عسكرية بريطانية إلى الخليج العربي في (2 تشرين الأول 1914م) وفي اليوم التالي أسندت قيادة القوات البريطانية إلى العميد "ديلامين" وأعطى لتلك القوات الرمز "D" وحدد إطار عملها باحتلال عبادان وحماية مصافي النفط وخط الأنابيب، وتغطية إنزال الإمدادات إذا غدت هذه ضرورية، والظهور للعرب بأننا نعتزم مساعدتهم ضد الأتراك.

ويحدد وزير الهند هدفاً آخرا لإرسال هذه القوات بقوله "كنت أعتبر على الدوام بأن أهم ما نستهدفه من إرسال (القوات البريطانية) هو التأثير على الشيوخ العرب، أما حماية منابع النفط فقد كانت شيئاً ثانوياً عندي من بين الامتيازات الأُخرى".

تغير مسار القوات البريطانية، وتقرر أن يكون الإنزال في البحرين، بدلاً من عبادان أو المحمرة، بانتظار تعليمات جديدة، وعين السير "برسي كوكس" ضابطاً سياسيا في الغزو المرتقب، وفي 5 تشرين

## المحاضرة الثالثة لمادة العراق المعاصر (المرحلة الثانية)

## للعام الدراسي 2023-2024

الثاني 1914م انحازت الدولة العثمانية إلى جانب ألمانيا في الحرب العالمية الأُولى، فصدرت التعليمات إلى العميد "ديلامين" للتوجه نحو الفاو، وزود بالمعلومات اللازمة عن المنطقة كالتكوين الجغرافي والعشائري والقوات العثمانية في العراق عامة، والبصرة خاصة: تعدادا وتدريبا وتسليحا وتوزيعا، وكانت هذه التخمينات تقترب كثيرا من الواقع العسكري العثماني.

وفي عشية الغزو العسكري البريطاني أصدر السير "برسي كوكس" الضابط السياسي المرافق للقوات البريطانية بيانا زعم فيه أن حكومته قد أُجبرت على الحرب نظرا للموقف المعادي للعثمانيين، لذا أرسلت بريطانيا قواتها لحماية تجارتها وأصدقائها وإجلاء الترك من المنطقة، وأن لا عداء لها مع العرب شريطة ألا يحموا الجنود "الأتراك" ولا يحملوا السلاح في تجوالهم، وأكد مهددا على منع ذلك، كي يجرد السكان، من وسائل الدفاع عن أنفسهم في ظرف غابت فيه السلطة المحلية الحامية، وبذلك يتسنى لجيشه الغازي أن يتوغل بسهولة.

نزلت القوات البريطانية في الفاو في ساعة متأخرة من يوم 6 تشرين الثاني ورفع عليها العلم البريطاني بعد مقاومة طفيفة اضطر بعدها الجنود العثمانيون إلى الإنسحاب، وبذلك تمكنت بريطانيا من السيطرة على مداخل شط العرب.

أما السلطات العثمانية في البصرة فلم يصل إليها خبر احتلال الفاو إلا في اليوم التالي من المدنيين الذين غادروا المنطقة إلى البصرة، فاستعدت القوات العثمانية لتصد التقدم البريطاني باتجاه البصرة، إلا إن هذه الحركة كانت غير نظامية أو مدروسة بل مليئة بالأخطاء سواء في شكل التقدم أو التعبئة والتموين، ولم تقدم الاستخبارات العثمانية أية معلومات لقائد القوة عن الموقع البريطاني، ولم تكن لديه خريطة للمنطقة، وقصارى القول أن القيادة العثمانية اعتمدت على الارتجالية دون التخطيط والحسابات العسكرية الدقيقة.

أما الخطط العسكرية والامدادات البريطانية، فكانت مبنية على حسابات دقيقة وتقديرات جيدة منذ بداية تحرك القوات البريطانية من الهند، مكنت البريطانيين من دحر العثمانيين في معارك السندية وسيحان وكوت الزين وفتح الطريق أمام هذه القوات لاحتلال مدينة البصرة حيث انسحبت القوات العثمانية باتجاه القرنة، ودخلتها القوات البريطانية في يوم 22 تشرين الثاني. وفي اليوم التالي استعرضت القوات البريطانية في البصرة، ورفع العلم البريطاني على سطح أحد المباني الرئيسة، وأطلقت البحرية

**المحاضرة الثالثة لمادة العراق المعاصر (المرحلة الثانية)**

**للعام الدراسي 2023-2024**

البريطانية مدافعها تحية له، وأذاعت السلطة المحتلة خطاباً دعت فيه أهالي البصرة إلى التعاون معها باعتبارها السلطة الوحيدة القائمة واقعيا، ووعد الخطاب بالحرية والعدالة.

قامت القوات البريطانية بعد احتلالها لمدينة البصرة، بإقامة المعسكرات لسكنى قواتها وإنزال معداتها العسكرية والقيام بدوريات للحراسة ومطاردة القوات العثمانية المنسحبة باتجاه القرنة والزبير، وقد أعطى الاحتلال القرنة أهمية كبيرة لموقعها العسكري ولصلاحية الملاحة إلى الخليج وغنى المنطقة الزراعية واحاطتها بإقليم الأحواز، فتقدمت القوات البريطانية واحتلت المدينة بعد استسلام القوات العثمانية في يوم 9 كانون الأول 1914م.

وبدخول القرنة أصبح البريطانيون يسيطرون على ملتقى نهري دجلة والفرات والطريق الملاحي في الخليج العربي.

لقد أوضحت الانتصارات البريطانية السريعة ضعف الأتراك وعدم استعداد القيادة العثمانية في العراق للوقوف بوجه الغزو البريطاني لهذا أعاد العثمانيون النظر في تنظيم قواتهم النظامية في العراق، وعملوا على كسب تأييد العراقيين لهم عن طريق اعلان الجهاد المقدس الذي كان له أثره في توجيه الرأي العام المتأثر بالعواطف الدينية إلى حمل السلاح بوجه البريطانيين وبلغ عدد المتطوعين بين (10-15) ألف مقاتل، وقد توجه هؤلاء لمقاتلة الإنجليز في الشعيبة قرب البصرة.

احتشدت القوات العثمانية بقيادة سليمان عسكري بك ومعها قوات المتطوعين وبدأت بمناوشة القوات البريطانية، وانطلق الهجوم الفاصل صباح يوم 12 نيسان 1915م، ولكنه كان هجوما فاقدا لعنصر المباغتة، نظرا لما سبقته من شواهد دالة عليه فقام البريطانيون بهجوم مضاد أسفر عن انتصار كاسح للقوات البريطانية وإبادة قسم كبير من القوات العثمانية، وتعتبر موقعة الشعيبة من المواقع الحاسمة في احتلال العراق من قبل البريطانيين، إذ فتت معنويات العثمانيين بعد انتحار القائد سليمان العسكري، كما أوجدت الشكوك بين الناس في إمكانية صمود العثمانيين أمام الغزو البريطاني، واعتبرت معركة الشعيبة مأساة تاريخية مهمة بالنسبة للعثمانيين.

بعد هزيمة القوات العثمانية في القرنة والشعيبة تقهقرت قواتهم نحو العمارة والناصرية بيد إن القوات البريطانية لاحقتها، واتجهت قوة برية ونهرية في دجلة إلى العمارة فاحتلتها في 2 حزيران 1915م، كما

**المحاضرة الثالثة لمادة العراق المعاصر (المرحلة الثانية)**

**للعام الدراسي 2023-2024**

احتلت قوة أُخرى الناصرية في 25 تموز بعد معارك ضارية، وهكذا تم للبريطانيين السيطرة على المثلث الواقع بين البصرة والعمارة والناصرية، وأَصبحت ولاية البصرة كلها تقريبا تحت الاحتلال البريطاني.

وقد شجع احتلال ولاية البصرة والانهيار السريع للمقاومة العثمانية، القادة العسكريين البريطانيين على طلب التقدم نحو بغداد، وأَوضح السير برسي كوكس، رئيس حكام الحملة السياسيين في برقية بعثها إِلى نائب الملك في الهند، بأنه لا يرى كيف يمكن ترك احتلال بغداد، وقد أَخذت حكومة الهند على عاتقها تحقيق فكرة الزحف نحو بغداد بعد تعيين الجنرال جونِ نيكسون إِلى القيادة ما بين النهرين ف 9 نيسان 1915م وخولته بالزحف على بغداد، "إِذا كان مقتنعا بأَن القوة المتوفرة لديه تكفي للقيام بالعمليات المطلوبة".

تقدمت الحملة البريطانية عن طريق دجلة باتجاه بغداد، وكانت بقيادة الجنرال "طاوزند"، الذي كان يعتقد في ضوء خبرته السابقة ضعف مقاومة الأَتراك وأَن قواته لن تجد صعوبة في احتلال بغداد، أَما العثمانيون فقد عمدوا إِلى تجميع قواتهم المندحرة، وشكلوا لجنة لتحصين مدينة بغداد للدفاع عنها. وحدثت أَول معركة بين الطرفين بالقرب من الكوت في 2 أَيلول 1915م استمرت نحو عشرين ساعة واشترك فيها الاسطولان النهريان البريطاني والعثماني، وانتهت بانتصار البريطانيين وانسحاب العثمانيين إِلى خطوط دفاعية جديدة أَقاموها قرب المدائن، بعد أَن خسروا (17) أَلف قتيل وجريح و1289 أَسيرا، ثم واصل البريطانيون تقدمهم نحو بغداد بعد استعدادات دامت ستة أَسابيع.

استعد العثمانيون لملاقاة البريطانيين قرب المدائن، وحصلوا على امدادات عسكرية من الأَناضول، كما وصل إِلى بغداد الجنرال الأَلماني "فون در كولتز" لتنظيم الدفاعات العثمانية عن مدينة بغداد. وفي يوم 21 تشرين الثاني هاجمت القوات البريطانية القوات العثمانية ودارت معركة ضارية بين الجانبين، وخلال المعركة عززت القوات العثمانية بفرقة جديدة بقيادة خليل بك الذي مكن العثمانيين من توجيه ضربة قوية اضطرت القوات البريطانية إِلى الانسحاب والتراجع نحو الكوت بعد أَن تكبدت خسائر فادحة بلغت في يوم 22 تشرين الثاني وحده (4511) قتيلاً.

استغلت القوات العثمانية الانكسار البريطاني في المدائن، وقامت بتعقب القوات البريطانية المتراجعة، وتمكنت من محاصرة البريطانيين في مدينة الكوت في 7 كانون الأَول 1915م وقد استمر الحصار حوالي خمسة أَشهر، ذاق فيها البريطانيون ويلات الحصار، وقد حاول البريطانيون عدة مرات

**المحاضرة الثالثة لمادة العراق المعاصر (المرحلة الثانية)**

**للعام الدراسي 2023-2024**

انقاذ قواتهم المحاصرة دون جدوى، وأَجروا مفاوضات مع العثمانيين لرفع الحصار. انتهت باستسلام البريطانيين يوم 29 نيسان 1916م، بعد أَن أَتلفوا العتاد والسلاح حيث بلغ عدد الأَسرى 13500 أَلف جندي.

لم يستثمر العثمانيون الهزيمة البريطانية في الكوت لمحاولة التقدم إِلى جنوب العراق وإِعادة السيطرة عليه وطرد البريطانيين منه، وإِنما أَرسلوا قواتهم إِلى إِيران لمحاربة القوات الروسية، مما أَضعف القوات العثمانية الموجودة في العراق، ومكن البريطانيين من تعزيز قواتهم من جديد وخاصة بعد تولي الجنرال مود قيادة هذه القوات التي بدأَت باستئناف الهجوم ضد العثمانيين منذ أَوائل عام 1917م، ودارت معارك قوية بين الجانبين تخلخل فيها مركز العثمانيين الذين اضطروا إِلى الانسحاب نحو نهر ديالى في 6 آذار ثم انسحبوا من بغداد، فدخلها البريطانيون بقيادة الجنرال مود فجر يوم 11 آذار 1917م.

كان لاحتلال بغداد من قبل البريطانيين آثاره السياسية والعسكرية على الوجود العثماني في مناطق العراق الأُخرى، وقد واصل البريطانيون تقدمهم نحو شمال العراق فاحتلوا سامراء في 22 نيسان والرمادي في 29 أَيلول. وتكريت في 6 تشرين الثاني 1917م، وبقي الجيش البريطاني عند الفتحة جنوب الشرقاط، حتى آواخر تشرين الأَول 1918م، وكان على بعد 12 ميلاً من مدينة الموصل حتى انعقاد **(هدنة مودروس)** في 30 أَكتوبر عام 1918م والتي أَنهت العمليات القتالية في الشرق الأَوسط بين الدولة العثمانية والحلفاء وقعها وزير الشؤون البحرية العثماني "رؤوف أورباي بك" والأَميرال البريطاني "سومرست آرثر غوف" في ميناء **مودروس** اليوناني، **طبقاً لهذه المعاهدة استسلم العثمانيون في مواقعهم المتبقية خارج الأناضول، ووافقوا على أن يسيطر الحلفاء على مضائق البسفور والدردنيل، والحق في احتلال أي إقليم عثماني في حالة وجود تهديد للأمن. وتم تسريح الجيش العثماني، وأصبحت الموانئ والسكك الحديدية والنقاط الإستراتيجية الأخرى متاحة لاستخدام الحلفاء. وفي القوقاز تراجع العثمانيون إلى حدود ما قبل الحرب.**

**ومن الشروط التي أملتها انجلترا على تركيا هي:**

**1- استسلام العثمانيون في مواقعهم المتبقية خارج الأَناضول (اليمن – العراق – سوريا – الحجاز).**

**2- سيطرة الحلفاء على مضائق البسفور والدردنيل.**

**3- تسريح الجيش العثماني مع تراجع العثمانيين إِلى نقاط ما قبل الحرب.**

**المحاضرة الثالثة لمادة العراق المعاصر (المرحلة الثانية)**

**للعام الدراسي 2023-2024**

**4- انسحاب القوات العثمانية من الأَجزاء المسيطرة عليها في إيران والقوقاز.**
**5- جعل الموانئ والسكك الحديدية والنقاط الإستراتيجية متاحة لاستخدام الحلفاء في القوقاز.**
**6- إعادة أَسرى الحرب إلى دول الحلفاء مع الإبقاء على أَسرى الجيش العثماني.**
**7- نصت المادة (16) من وثيقة المعاهدة على استسلام القوات التركية المطلق للحلفاء ونهاية الإدارة التركية في الولايات العربية الخاضعة سابقاً للإمبراطورية العثمانية بما في ذلك عسير واليمن .**

في 30 تشرين الأَول 1918، طلب قائد القوات البريطانية الجنرال مارشال، وكان قد تولى قيادة هذه القوات بعد موت قائد القوات العثمانية في مدينة الموصل مغادرتها، وجرت مفاوضات بين الجانبين وافق فيها العثمانيون على الجلاء عن المدينة، ورفع العلم البريطاني عليها في 8 تشرين الثاني 1918م. وهكذا انتهت الأَعمال العسكرية بعد أَن امتدت زهاء أَربع سنوات، وخضع العراق للإِدارة البريطانية كلف احتلال العراق البريطانيين خسائر فادحة قدرتها المصادر البريطانية، بحوالي مائة أَلف قتيل وجريح، هذا فضلاً عن الخسائر المادية الهائلة، لهذا يمكن القول أَن العراق كان من الجبهات الأَساسية التي استنزفت العدد الكبير من الرجال والمال الوفير.